مثل اطوار الاطفال ولم تكن تنطق الاَّ ببعض الالفاظ. ورأى الدكتور ونشل ابله عمره ١٣ سنة ولم يكن ثقل دماغه الاَّ ٦٨ درهمًا

وثقل دماغ الانسان المطلق اكثر من ثقل دماغ غيره من الحيوانات ما عدا الفيل الذي بلغ دماغهُ ١٣٨٠ درهمًا والحوت الذي بلغ دماغ واحد منهُ طولهُ ٧٥ قدمًا ٦٤٠ درهمًا . ولكن دماغ الانسان بالنسبة الى جسمهِ اثقل من دماغيهما بالنسبة الى جسميهما

ومعدَّل ثقل الدماغ بالنسبة الى الجسم يختلف كثيرًا باختلاف الحيوانات فهو في الاسماك ١ الى ٥٦٦٨ اي ان اجسامها اثقل من ادمغتها بخمسة آلاف وست مئة وثمان وستين مرَّة . وفي الزحافات ١ الى ١٤٣١ . وفي الطيور ١ الى ٢١٢ وفي ذوات الثدي ١ الى ١٨٦ اي انهُ يرتقي بارتقائها في سلَّم الحيوانيَّة . ولكنهُ يختلف في افراد كل طائفة من هذه الطوائف الاربع فهو في الباس (نوع من السمك) ١ الى ٥٣٢ . وفي الانكليس ١ الى ١٤٩٩ . وفي ابي منقار ١ الى ٨٩١٥ . وفي الضب ١ الى ١٨٠ . وفي الضفدع ١ الى ٥٣٠ . وفي ذات الاجراس ١ الى ١٨٣٥ . وفي الكنار ١ الى ١٠ ½ وفي الحمام ١ الى ٩١ وفي البط ١ الى ٢٤١ وفي الدجاج ١ الى ٢٧٧ وفي الوز ١ الى ٣٦٠٠ . وفي بعض القرود ١ الى ٢٢ وفي كلب البحر ١ الى ٢٦ وفي الانسان ١ الى ٥٠ وفي الهرَّة ١ الى ٩٤ وفي الثعلب ١ الى ٢٠٥ وفي الكلب ١ الى ٢٠٥ وفي الضان ١ الى ٢٥١ وفي الخيل ١ الى ٧٠٠ وفي البقر ١ الى ٧٥٠

ويظهر من ذلك ان لا علاقة بين ادراك الحيوان وثقل دماغهِ النسبي والاَّ لزم ان يكون الكنار اشد ادراكًا من كل انواع الحيوان ومن الانسان ايضًا . وقد تقدَّم ايضًا ان لا علاقة بين العقل وثقل الدماغ المطلق لان دماغ الفيل اثقل من دماغ الانسان فلا علاقة بين ثقل مجموع الدماغ والقوى العقليَّة . ولكن اذا التفتنا الى الجسم السنجابي فقط وجدنا ان ثقلهُ المطلق والنسبي هو في الانسان اكثر منهُ في غيرهِ من كل انواع الحيوان . فبين العقل والجسم السنجابي نسبة ثابتة . والله اعلم

ديانة الاقدمين ورموزهم

زعم كثيرون من السيَّاح والمبشرين انهم رأوا شعوبًا متوحشة لا دين لها على الاطلاق . فقال بعضهم ان اهالي كوِنسلند (باسترالية) لا يعتقدون بوجود الهٍ خالق لهذا الكون ولا معبود لهم ولا صنم ولا هيكل ولا ذبيحة ولا شيء مما يدخل تحت مفهوم الديانة . واستشهد على ذلك بالمبشر شمت الذي سكن بينهم سبع سنوات . وقال آخران سكان كليفورنيا الاصليين لم يكن عندهم قبل تنصُّرهم شيء من

مواد السياسة ولا من شعائر الديانة — لا قضاة ولا حرس ولا شرائع ولا اصنام ولا هياكل ولا طقوس. ولم يكونوا يؤمنون بالاله الحقيقي ولا بالآلهة الكاذبة. وقد بحثتُ البحث المدقق فلم اجد انهم يعتقدون بالله ولا بالخلود ولا بوجود النفس. ولا اسم في لغتهم للنفس ولا للاله. وقال هال ان المبشرين لم يجدوا اسمًا لله في كل لغات اوريغون (ولاية اميركية). وقال كثيرون اقوالاً أخرى تنطبق على ما تقدّم (١). ولكن جمهور المحققين يقول ان الدين من لوازم نوع الانسان كما قلنا في الصفحة ٦٠٣ من المجلد السابع وكما يظهر من كل ما كتبناهُ عن اديان الاوائل في المجلد السابع والثامن والتاسع. وان التحقيقات الاخيرة قد ابانت فساد قول الذين نفوا الديانة عن بعض الشعوب المتوحشة

وقد يخطر للقارئ اللبيب ان يقول ترى ماذا كانت حالة الاقدمين الذي كانوا قبل زمان التاريخ وقبل اختراع الكتابة وقد طوت الايام اخبارهم ولم يبقَ الاَّ اليسير من آثارهم في بعض الكهوف والمغائر التي كانوا يأوون اليها أكان عندهم شيء من الديانة ام كانوا كالبهائم لا دين ولا معتقد. والجواب انهُ قد بقيت من آثار الاقدمين اشياء كثيرة تدلُّ دلالة واضحة على انهم لم يكونوا عطلاً من الديانة. واثباتًا لذلك نقابل آثارهم بما يُعرَف الآن عن اديان هنود اميركا ورموزهم

ان هؤلاء الهنود قبائل كثيرة مختلفة المذاهب ولكنها متفقة في امرين كبيرين. الاوّل انها تعتقد بوجود اله عظيم فوق كل الالهة تسميهِ الروح العظيم. والثاني انها تعتقد بوجود ارواح اخرى بعضها صالح نافع وبعضها طالح ضارّ ويمكن ان يُرمَز اليها بكل شيء من الجماد والنبات والحيوان فتعبد بتقديم العبادة والاكرام الى ما يرمز بهِ اليها. والصالحة منها تحرس البشر وتفهم من الخاطر وتتجلى لهم بصور حية اذا صاموا صومًا طويلاً عند سن المراهقة فيتخذون تلك الصور رمزًا لهم

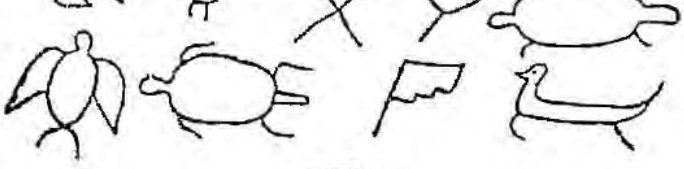

الشكل ١

ويرسمونها على تروسهم واسلحتهم ويشمون ابنائهم بها ويقسمون بها ويقدمون لها الذبائح والقرابين. وقد وضعنا في الشكل الاول صورة تسعة من هذه الرموز وهي رموز تسعة من رؤسائهم امضوا بها معاهدة أُبرِمَتْ بينهم وبين الانكليز سنة ١٧٣٧. وهي قريبة من صور الوعل والنمائم التي كان نساء العرب

(١) اصل التمدن للبك الفصل الخامس

يعلقنها على رؤوس اطفالهنّ ولم يزل بعض نساء بلادنا يتخذنها حفظًا للاولاد من العين والارواح الشريرة

وقد وُجد بين آثار الاقدمين قطع من العظم او العاج وعليها من صور الاسماك والوعول وغيرها من انواع الحيوان كما ترى في الشكل الثاني . والارجح انها لم تكن رسومًا رسمها الاقدمون في اوقات العطلة للتسلية او للمباهاة بصناعة النقش بل رموزًا كرموز الاميركيين وعرب الجاهلية يُرمز بها الى معبوداتهم التي كانوا يعبدونها . وهذا هو راي بعض كبار العلماء . والظاهر ان الخطوط التي توجد غالبًا بجانب هذه الرموز تشير الى عدد الضحايا التي ضحيت لصاحب ذلك الرمز او عدد الغلبات التي غلبت باسمه . وان ما كان منها مستطيلاً مثقوبًا من طرفه كان مقبضًا لعصي الكهان والاطباء التي يشيرون بها عند اجتراح المعجزات وشفاء الامراض

ومعلوم ايضًا ان كتابة هنود اميركا رموز يعبّرون بها عن افكارهم على اسلوب مألوف عندهم. كما يرى في الشكل الثالث الذي هو صورة عريضة رفعها بعض رؤوسائهم الى رئيس الولايات المتحدة

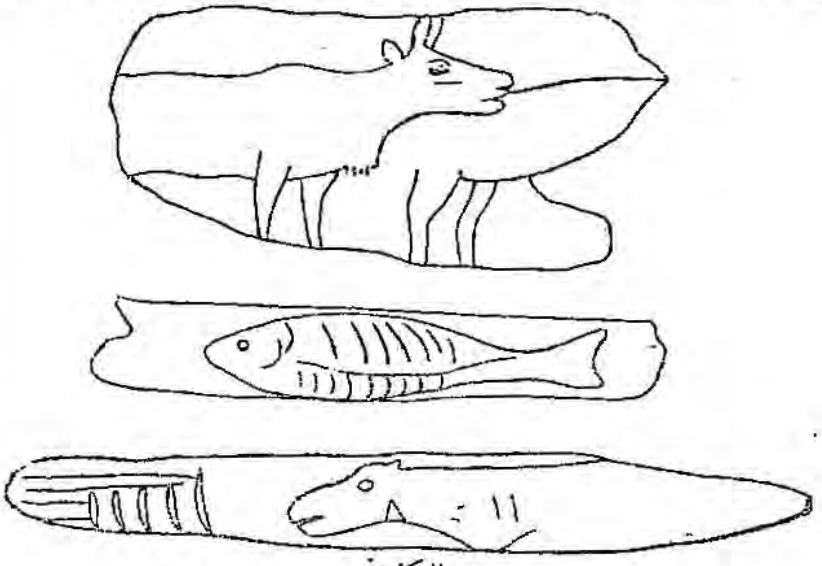

الشكل ٣.

يدّعون بها ببعض الجهات المجاورة لبحيرة سوبريور وفيها رمز الرئيس الاكبر ورموز اربعة من الرؤساء الصغار وعيونهم متصلة بعينه وقلوبهم متصلة بقلبه دلالة على وحدة الراي والقلب . ثم يخرج من عين الرئيس القائد خطان احدهما متصل بالجهات والثاني منبه نحو الرئيس وهو غير مرضوع في هذا الرسم . فكانما هذه العريضة تنطق بالكلام الآتي وهو نحن الرئيس فلان واتباعهُ فلان وفلان الخ

تخبر جلالتكم بالاتفاق التام ان البحيرات الثلاثية هي ملكنا الشرعي

والظاهر ان الاقدمين قد استعملوا هذه الرموز كما يستعملها هنود اميركا الآن ومن قبيل ذلك الصورة المرسومة في الشكل الرابع وهي صورة قطعة من قرن الايل وجدت في كهف دُردون (بفرنسا) وقال العلّامة دوصن انها تشير الى رجل حامل حملًا او آلة حربية على ظهره وقد ادبر عن البحر واتجه الى البرّ والتقى بفرسين اشارة الى ارتحال السنوي من البحر حيثما ينتات بالاسماك الى البر حيثما يصطاد الخيل البرّية. وعلى الجانب الآخر من هذه القطعة صورة ثور من الثيران البرية . ولا يبعد ان تكون هذه الصورة رمز لمعبود ذلك الرجل الذي يعبدهُ او يتعوّذ بهِ

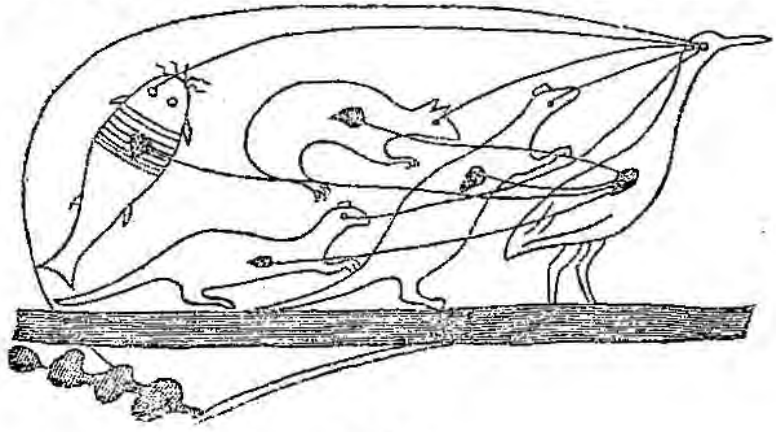

الشكل ٢

وهناك وجه آخر للمشابهة بين عبادة هؤلاء الهنود ورموزهم وعبادة الاقدمين ورموزهم وهو ان الهنود يكرمون بعض الصخور والحاقل ويعتقدون ان لها روحًا يسكن فيها فيقربون لها القرابين ويرسمون عليها رموزهم الخفية كما ترى في الشكل الخامس وهو صورة الرموز التي على صخور برسه في سهول منيتوبا وشكل هذه الرموز يشابه شكل رموز الاقدمين الباقية في آثارهم مشابهة تامّة. واعتبار الهنود لهذه الصخور يوضح لنا المراد من الصخور المرسومة في الشكل السادس وهي باقية من العصر الحجري بكرنك في فرنسا وكانت قبلًا اثني عشر الفًا قائمة في احد عشر صفًّا كما في الرسم ولكنها قد تبعثرت الآن واستُخدم اكثرها في بناء الكنيسة المجاورة لذلك المكان والبيوت القريبة منها. وقد بيّن السر جون لبك ان هذه الصخور وامثالها كانت تكرم عند الاقدمين اعتقادًا بانها منازل للآلهة . وان نسبة هياكل المصريين والاشوريين ومن تلاهم من الشعوب اليها نسبة علم الكيمياء الحديث الى علم الكيمياء القديم ونسبة علم الهيئة الى علم التنجيم

ونتج مما تقدّم انهُ كان عند الاقدمين شيء من الديانة وانهم كانوا يصنعون رموزًا لمعبوداتهم

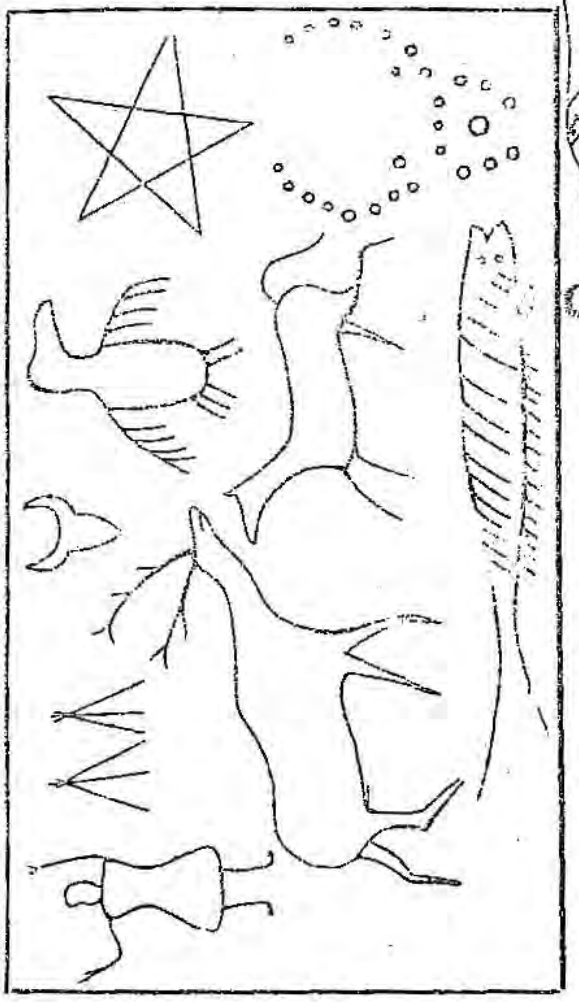

الشكل ٥

الشكل ٤

ويقيمون لها المعابد . والارجح انهم علموا ان العليّ لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي فاتخذوا تلك الهياكل والحارم لعبادة الارواح التي توهموا فيها النفع والضر

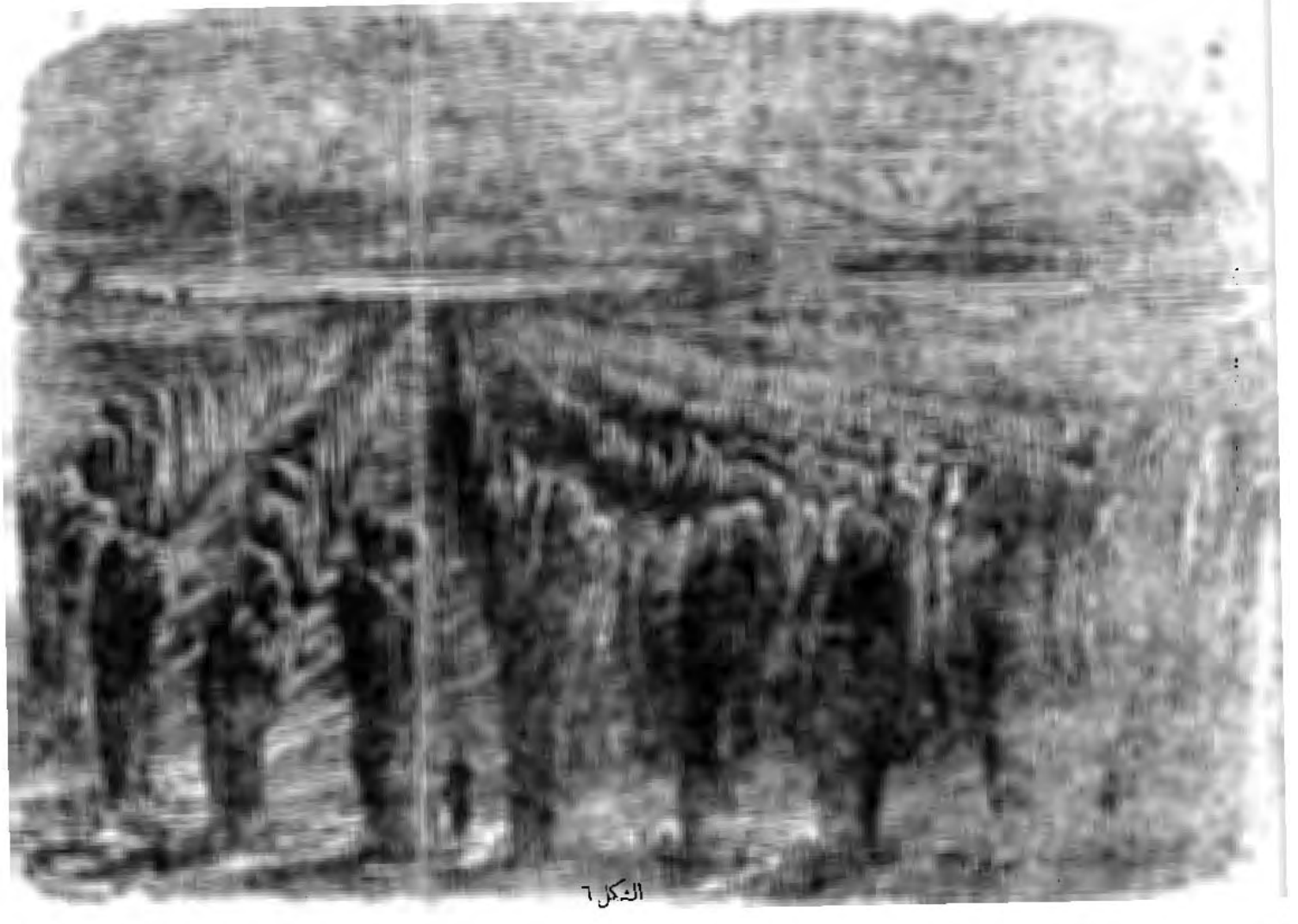

الشكل ٦